لمحة عن الأساليب الدعائية والإعلامية للثورة الجزائرية

أثناء مرحلتها الأولى 1954-1956

إعداد : الأستاذ الأحمر قادة

شهدت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية العديد من المستجدات حيث انقسم العالم إلى معسكرين متصارعين تبنى كل واحد منهما إيديولوجية معينة ، وقد انعكس هذا الصراع على الدول التي كانت تحت وطأة الاستعمار، حيث برزت العديد من المفاهيم الجديدة ، وتغيّرت طرق الكفاح وظهر ما يسّمى بالحرب الثورية التي لم تعد تقتصر على الجانب العسكري والسياسي فقط بل شملت ميادين أخرى في مقدمتها الإعلام والدعاية .

والثورة الجزائرية أدركت منذ الوهلة الأولى أهمية هذا السلاح حيث سعت إلى إيجاد إعلام ثوري يكون ملتصقا بالجماهير، وقادر على بلورة مبادئ الثورة وتبسيطها وتحويلها إلى حقائق حيّة يشعر بها الناس في جميع مجالات الحياة .

ومن هنا نطرح السؤال التالي: ما هي أهمّ أساليب الإعلام والدعاية التي اعتمدت عليها الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى ؟

لقد عرفت سنة 1954 ميلاد جبهة التحرير وجيشها هذا التنظيم السياسي والعسكري الذي ولد من رحم المعاناة الشعبية ومن أعماق الجزائر ، كان ممثلا شرعيا ووحيدا لجميع الجزائريين في الداخل والخارج ، مما جعله يتمكن من قلوب وجوارح الشعب ، ويفرض نفسه على الساحة الوطنية والدولية .

كتبت جريدة "Le monde" الفرنسية ذات يوم من سنة 1962 تقول : " لقد فرضت جبهة التحرير الوطني على العالم رمزا هو " ج.ت.و" يعد أكثر فعالية في الوقت الحاضر إنه رمز رهيب ومريع في الحرب منظم وخارق للعادة في الكفاح المسلح ، رابط عضوي جبار في أجهزة الإعلام لمجموعات الفدائيين وقوات المقاومة ، حازم في إبراز الحرب الجزائرية على المستوى الدولي "1.

كما أن جبهة التحرير كانت تؤمن منذ انطلاق الرصاصة الأولى أن الأسلوب العسكري لا يكفي وحده لإخضاع المستعمر لمطالبها المحددة في بيان أول نوفمبر من جهة ، وتعبئة الجماهير وتنوير الرأي العام الدولي بالقضية الجزائرية من جهة ثانية ، وكانت الجبهة تدرك أهمية الإعلام ودوره في المعركة التحريرية خاصة وان القضية الجزائرية وعلى الرغم من وضوح عدالتها كانت محاطة بالكثير من التعقيدات ، إذ أن الرأي العام الدولي ظل طوال قرن وربع لا يعلم عن الجزائر سوى أنها جزء لا يتجزأ من فرنسا .فالفرد الجزائري بدوره سئم من مطالعة السموم التي تنشرها وسائل الإعلام الفرنسية وكان في حاجة ماسة إلى إعلام ثوري صادق وفعال يعبر عن آماله وآلامه .

لقد اندلعت الثورة التحريرية المسلحة في الفاتح من نوفمبر من عام 1954 وقد رافق هذا الحدث صدور أول عمل إعلامي ودعائي تمثل في بيان 01 نوفمبر 1954 وقد جاء فيه " أن الكفاح يجب أن يستمر بكل الوسائل إلى أن تتحقق أهدافنا ، ولكي نتوصل إلى هذه النتائج يكون لجبهة التحرير عملين : عمل داخلي في الميدانين السياسي والعسكري ، وعمل خارجي يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام الدول وهذا عمل شاق يتطلب تهيئة جميع القوى "2.

يتضح مما سبق أن المشكل العويص الذي عانت منه الثورة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي هو جهل أو تجاهل الرأي العام العالمي خاصة الفرنسي منه لحقيقة ما يجري على أرض الجزائر ، بسبب الحصار والخناق المضروب على الجزائريين المسلمين لأن الحكومة الفرنسية أقرت وإلى الأبد بأن الجزائر فرنسية وما يحدث داخلها هو مسألة داخلية لا تهم ساسة فرنسا وحدهم باعتبار الجزائريين رعايا ومواطنين من الدرجة الثانية ويرجع ذلك إلى التشويش والتحريف الممارس من قبل الإعلام الفرنسي اللامتكافئ مع الإعلام الجزائري الذي كان يتميز في البداية بقلة الإمكانيات وصعوبة التنسيق بين الداخل والخارج ونقص الخبرة ، ولذلك كان على الإعلام الجزائري أثناء الثورة أن يواجه ثلاث تحديات :

التحدي الأول : تحطيم الفكرة التي ظلت فرنسا ترددها طوال 130 سنة من أن الجزائر جزء منها .

التحدي الثاني : إقناع الرأي العام العالمي بأن هناك شعبا جزائريا له قوميته وتراثه ولا يمكن أن يكون فرنسيا .

التحدي الثالث : هو إبراز الوجه الآخر لفرنسا موطن الحرية والعدل والمساواة بإظهار السياسة اللاإنسانية التي كانت تتبعها ضد الشعب الجزائري3.

ويدرج الأستاذ " أحمد حمدي " في كتابه الثورة الجزائرية والإعلام مهاما رئيسية أخرى كان على الإعلام الثوري الجزائري أن يؤديها في تلك الفترة وهي 4:

أ-اتصال الثورة بالشعب وإبلاغ المواطنين حقيقة ما يجري من صراع مسلح مع العدو .
ب-تعبئة الجماهير الشعبية لتلتف حول الثورة بغية التحرر والاستقلال .
ج-تحصين الشعب الجزائري من الإعلام الاستعماري وحربه النفسية والإيديولوجية .

د- نقل وإبلاغ الثورة وحقيقتها إلى العالم الخارجي .

هـ- مواجهة إعلام العدو والرد عليه ودحض دعايته .

ومن خلال تحقيق هذه الأهداف الأولية يمكن تكوين الإنسان الجزائري الجديد القادر على تحمل مشاق الثورة مهما طالت ومهما بلغت جسامة أحداثها وبالتالي رفع مستوى الوعي الثوري الكفيل بتأدية أدوار أساسية في عملية التغيير الاجتماعي إلى جانب الكفاح المسلح .

ويجب الإشارة هنا إلى ان هناك إعلام جزائري يختص بالداخل وإعلام يختص بالخارج ، فأما الأول تميز بمرحلتين : الأولى منذ اندلاع ثورة 1954 م إلى انعقاد مؤتمر الصومام ، ويمكن تسميته بالإعلام الابتدائي ، اما إعلام ما بعد مؤتمر الصومام فتسميته الإعلام المنتظم الواعي .

وقد ارتبط مفهوم الإعلام عند جبهة التحرير الوطني ارتباطا وثيقا بالاتصال حيث كان يتعين عليها تعبئة الجميع وتعريفهم بأهداف ومبادئ الثورة وكان ذلك يتم عن طريق ثلاث قنوات :

1- الإعلام المباشر :

كان الإعلام المباشر أكثر انتشارا وأسرع تأثيرا في الرأي العام الوطني وغالبا ما كان يوجه إلى المواطنين أثناء الاجتماعات التي يعقدها المرشدون السياسيون[5] في القرى والمداشر قصد إطلاعهم على انتصارات جبهة التحرير الوطني على الصعيدين العسكري والسياسي ، وكذا تبليغهم التعليمات الصادرة من الجبهة المتعلقة بمقاطعة الإدارة الاستعمارية بالإضافة إلى تلقيهم معلومات دقيقة عن تحركات العدو وعملاته وخططه بهدف نقلها إلى قادة الثورة في قالب نظامي محكم لإبطال مفعولها والرد عليها في الوقت المناسب وبالوسائل الملائمة .

وقد كان الإعلام المباشر يعتمد على الجانب الديني كالدعوة إلى الجهاد ، حيث كان المرشدون السياسيون يلقون خطبا حماسية في تجمعات المواطنين بالقرى والمداشر يبرزون فيها أجر المجاهدين وفضل الجهاد عند الله، حيث كانت تلك الخطب التي يلقيها المرشد السياسي تلهب الجماهير حماسا وغيرة ووطنية تجعلهم يتسابقون إلى تلبية نداء الجهاد في سبيل الله لنيل شرف الشهادة كما كانت الدعايات بواسطة الشعب لها مفعولها أيضا ، حيث كان المواطنون ينقلون أخبار انتصارات جيش التحرير الوطني على إثر الزيارات التي يؤدونها للمجاهدين في الجبال ، ونظرا لكون الأخبار والتعليمات المنقولة شفهيا تشكل خطورة على الثورة وعلى الفرد الناقل فقد كان الاختيار لهذه المهمة الصعبة يتم على أساس من الجدية وانتقاء أحسن الأفراد القادرين على مواجهة الصعاب وتحمل الصبر على المكروه وحفظ الأسرار6.

2- الرسائل :

كانت الرسائل المكتوبة تسير جنبا إلى جنب مع الرسائل الشفهية والإعلام المباشر ، حيث كانت الجبهة توجه رسائل شخصية متعددة من بينها رسائل توجهها إلى الفئات التالية :

أ/ المتعاونون مع العدو تحذرهم بواسطتها من خطورة ذلك على الشعب وعلى حياتهم معا ، وأحيانا تطلعهم على الحكم الصادر ضدهم ووقت تنفيذه .

ب/ الجنود المتواجدون في صفوف الجيش الفرنسي : تنصح فيها المرتزقة على الخصوص من الجنود الأجانب على مغادرة صفوف الجيش الفرنسي والرجوع إلى أوطانهم وفي الوقت نفسه تحث الجنود الجزائريين الذين غررت بهم السلطات الفرنسية أن يلتحقوا بصفوف الثورة للدفاع عن وطنهم .

ج/المعمرون : تطالبهم فيها بالإعانات المالية وعدم التعرض لمناضلي الجبهة وتعلمهم أنه في حالة عدم امتثالهم لتعليماتها فسينفذ في حقهم الحكم الذي ستصدره عليهم محاكم الثورة7 .

وهذه إحدى النماذج من الرسائل التي وجهتها جبهة التحرير الوطني إلى مرتزقة الجيش الفرنسي حيث جاء فيها : " يا جنود فرنسا إنكم بعملكم في الجندية الفرنسية تخدمون مصالح المستعمرين وتتعذبون في سبيل سعادة وهناء جلادي الامة الجزائرية وإذا متم فإنكم تموتون في سبيل شرذمة مستغلة لشعب بأكمله أي أنكم تموتون فداء الاستعمار إننا لسنا من قطاع الطرق ، نحن جنود جيش التحرير الوطني نعمل في سبيل مبادئ العدالة والإنسانية ولقد خدعوكم في شأننا ، ففكروا في الأمر. إن إعانة المستعمرين الذين رفضتهم الإنسانية تعتبر جريمة لا تغتفر ضد شعب يدافع عن حقه ، إن انتصارنا محقق ولتسقط العنصرية "8.

3- المنشور :

إن المنشور هو عبارة عن ورقة تحتوي على موضوع من المواضيع ، يوزع على الناس مجانا قصد اطلاعهم على حدث ما وهو في العادة لا يتعدى الصفحة الواحدة لأنه إذا تعداها إلى صفحتين أو أكثر فإنه يصبح نشرة وليس منشورا، ويحرر بأسلوب عادي مبسط لأنه الغاية منه هو إطلاع الرأي العام على ما يهدف إليه ، إذ انه يتوجه إلى العامة مخاطبا عواطفهم وعقولهم من أجل كسب مواقفهم وجلب تأييدهم لفكرة سياسية أو شرح مبدأ عقائدي . وكان المنشور السياسي أول وسيلة من وسائل الإعلام واستعملته اللجنة الثورية للوحدة والعمل (C.R.U.A) لإطلاع الرأي العام الوطني والدولي عن ميلاد جبهة التحرير الوطني من جهة ، وعن اندلاع الثورة المسلحة من جهة ثانية عن طريق نداء أول نوفمبر الذي كتب في صفحة منشور وزع في الليلة الفاصلة بين 31 أكتوبر و أول نوفمبر 1954 ، وقد اهتم الثوار به واعتبروه مرآة للجبهة ، وأكد البيان أن لا طريق للاستقلال إلا الطريق الحربي وأن أسس ومبادئ هذا البيان هي مستمدة من الواقع النضالي ، وهذا يعكس إيديولوجية جبهة التحرير الوطني .

هذا الأخير الذي استخدمته لشرح أفكارها وهويتها وموقعها من الصراع الوطني الدائر في الحركة الوطنية ، اعتبر أن الجبهة منظمة وطنية لأنها موجهة ضد الوجود الاستعماري ، وهي الممثل الوحيد للشعب الجزائري سواء في الداخل أو في الخارج ، وهي ديمقراطية انطلاقا من أنها أحلت مبدأ القيادة الجماعية ، وتهدف إلى إقامة جمهورية مستقلة .

كما وضح هذا البيان أهداف الجبهة وطرق الكفاح واعتبر بمثابة قاعدة أو دستور اعتمدت عليه الثورة في كفاحها والتي أعطت الجبهة من خلاله المعلومات الكافية عن الثورة وأهدافها ، وساعدت هذه الأرضية الأساسية للثورة الجزائرية في انضمام العديد من المواطنين للثورة .

وكغيره من المناشير كان أسلوب صياغته بسيطا ، إضافة إلى ذلك طريقة التحليل التي اعتمدت عليها القيادة الثورية والصياغة التي تنطلق من أن نجاح الثورة متوقف على التفاف المواطنين حولها 9.

أضف إلى ذلك أن الصحافة التي تكونت في البداية عبر مناطق الثورة كانت على شكل مناشير حيث كانت تطبع المعلومات التي لم تكن في متناول الجميع أي التي توجد في أيدي المرشدين السياسيين فقط ، حيث يتم توزيعها عبر المداشر والقرى والمدن ، كما كانت ترسل بواسطة البريد إلى خارج القطر الجزائري وخاصة إلى فرنسا ولمدة طويلة قبل أن يتفطن الاستعمار لذلك ويشدد المراقبة على الطرود والرسائل الموجهة إلى الخارج .

كما كانت جبهة التحرير تلجأ إلى استعمال المنشور قصد تعميم إحدى قراراتها الصادرة عن الجماهير بحيث كان يوزع بواسطة المناضلين في جميع نواحي القطر الجزائري ويكون توزيعه في وقت واحد ، بل في ساعة ودقيقة واحد ، وفي الغالب كان يتم توزيعه في الأوقات التي تكون فيها الشوارع مكتظة بالمواطنين مثل منتصف النهار أو السادسة مساءا وهي الأوقات التي يخرج فيها المواطنون من العمل أويتم توزيعه ما بين الساعة السابعة والعاشرة ليلا .

وكان توزيع المنشور في أوقات خروج المواطنين من العمل يهدف إلى تحقيق عاملين اثنين :

- **العامل الأول** : يتمثل في إبلاغ المنشور إلى اكبر عدد من الجمهور الموجود في الشوارع والطرقات في تلك الأوقات ، وعجز السلطات الاستعمارية عن حجز المنشور في ذلك الزحام .

- **والعامل الثاني** : يتمثل في الوقت والمحافظة على المناضلين من وقوعهم في قبضة المخابرات الفرنسية10.

وكان المنشور يوزع ليلا في الحالة التي تكون فيها رقابة السلطات الفرنسية مشددة في النهار حيث يوزع المنشور عن طريق صناديق البريد أو يرمى تحت الأبواب وفي حالة إيقاف مناضل وهو يحمل ورقة من هذا النوع فإن ذلك سيعرضه لحكم قاسي من طرف المحاكم الفرنسية 11.

وقد شكلت مناشير الثورة أسلوبا للتأثير السياسي والمعنوي على الجماهير حيث كانت تنطلق دائما من تحليلات وتعليقات من مبدأ أن التفاف الجماهير حول الثورة هو الوسيلة الوحيدة لتمكين الثورة من تحقيق النصر بحيث أصبحت الجماهير مقتنعة بضرورة جمع الطاقات واستغلالها من أجل دحر العدو تحت شعار النصر والاستشهاد .

والمعروف أن الحرب الثورية أو ما يسمى (Guerilla) يقتصر نجاحها على كسب تأييد الجماهير باعتبارهم الورقة الرابحة التي يتنافس عليها كل طرف في الحرب وقد عرف إعلام جبهة التحرير منذ البداية كيف يتكيف مع الجماهير التي يمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع :

النوع الأول من الجماهير هو الشعب الجزائري والثورة وهو المقصود بالدرجة الأولى .

النوع الثاني هو الحكومة الفرنسية القائمة في فرنسا بتغيراتها المتعددة واتجاهاتها المختلفة .

النوع الثالث من الجماهير هو الرأي العام العالمي الذي كان يقف إلى جانب فرنسا لأنها دولة عظمى .

اما النوع الرابع والأخير فهو الرأي العام الفرنسي الاستعماري بالجزائر وهو المتطرف الذي نصب نفسه عدوا للثورة .

وإذا علمنا أن بيان أول نوفمبر قد حدد للثورة ثلاث أهداف ثانوية زيادة على الهدف الأساسي الذي هو الاستقلال وهي :

1-تجنيد الشعب الجزائري وراء جبهة التحرير الوطني .
2-تدويل القضية الجزائرية .
3-فتح مفاوضات مع السلطة الفرنسية .

يمكن القول أن الهدف الأول قد تحقق في المرحلة الأولى من اندلاع الثورة أي من 01 نوفمبر 1954 إلى 20 أوت 1956 وذلك بفضل الإعلام المباشر الذي استطاع رفع معنويات المواطنين الذي أصبحوا الذرع الواقي لجبهة التحرير الوطني يمدونها بكل الوسائل المادية والبشرية بل وأصبحوا يمارسون الدعاية إلى جانب جيش التحرير مثل عمال المزارع الذين كانوا يضخمون قوات جيش التحرير الوطني والإمكانيات المادية والبشرية للثورة بصفة عامة لدرجة أصبح فيها المجاهدون يتحوّلون لحظات الخطر إلى أكباش تختفي عن الأنظار ، والمجاهد رجل نحاسي لا يخترقه الرصاص12 ، وغيرها من الأمور التي إن دلت على شيء فإنما تدل على قوة تأثير إعلام ودعاية جبهة التحرير وارتباط الشعب الجزائري بثورته بالرغم من سياسة التزييف التي اعتمدها الجيش الفرنسي .

إلا أن إعلام جبهة التحرير سوف يعرف قفزة نوعية بعد مؤتمر الصومام عام 1956 حيث تطورت وسائله وتوسعت أهدافه وأصبح لجبهة التحرير الوطني منظومة إذ لم نقل سياسة إعلامية خاصة بها .

الهوامش

[1]- مجلة أول نوفمبر العدد 1979 ، ص 39 /88 .

[2] - بيان أول نوفمبر 1954 م ، مديرية المجاهدين .

[3] - عواطف عبد الرحمن ، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962 ،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 48 .

[4] - حمدي أحمد ، الثورة الجزائرية والإعلام ، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ، ص 30 .

[5] - المرشد السياسي والمفوض السياسي ، كان يطلق على ضابط أو ضابط صف من المجاهدين للقيام بمهام محددة في مقدمتها الدعاية والدعاية المضادة يشترط في القيام بهذه المهمة الثقافة الواسعة والوعي السياسي الرفيع بعد مؤتمر الصومام تغير الاسم وأصبح يسمى المحافظ السياسي ، بعد الاستقلال أنشأت مدرسة خاصة لتكوين المحافظين السياسيين (شهادة العميد الهاشمي حجر س) .

[6] - الإعلام ومهامه أثناء الثورة ، سلسلة الملتقيات (المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة 1 نوفمبر 1954)، ص 47 .

[7]- من مقال الأستاذ بوالي حسن بعنوان " استراتيجية الثورة التحريرية والتعبئة الجماهيرية منذ اندلاع الثورة إلى غاية مؤتمر الصومام " ، الإعلام ومهامه أثناء الثورة ، سلسلة الملتقيات (م.و.د.ب.و.ث 1954 م) ، ص 48 .

[8] - نفس المرجع عن مجلة الجزائر أخبار ووثائق بيروت 1972 العدد 17 ص 17 .

[9] - أول نوفمبر 1979 م ، العدد 40 ، دور الإعلام في تعبئة الجماهير خلال حرب التحرير ، ص 12 .

[10]- أول نوفمبر العدد 1979/33 / دور الإعلام في انتصار ثورة التحرير .

[11] - بومالي حسن ، مرجع سابق ، ص 49 .

[2]- الزبير سيف الإسلام ، الجانب الإعلامي في الثورة الجزائرية المسلحة أول نوفمبر الصادرة بالجزائر فيفري 1973 عدد 3 ص 49 .